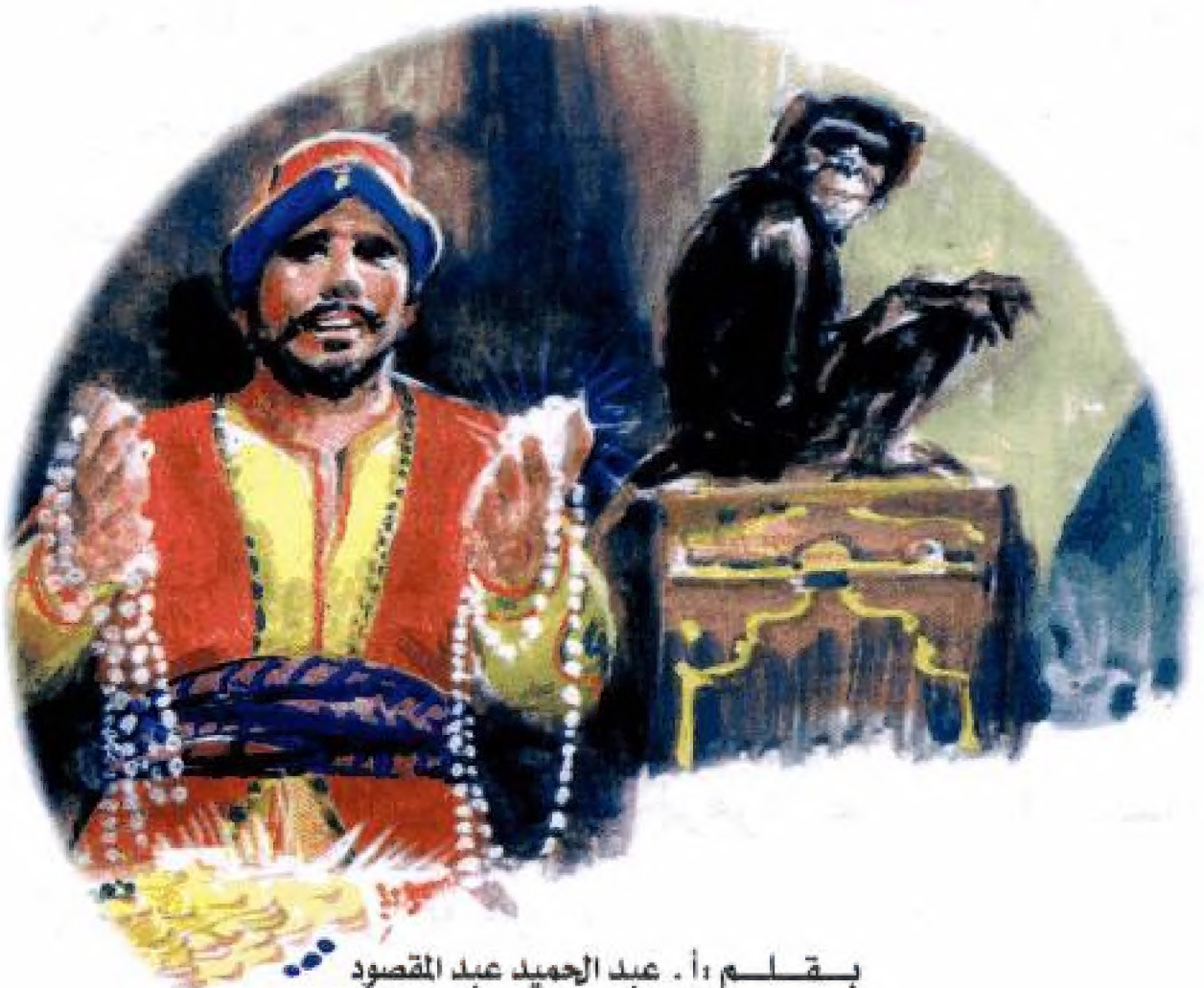


حكاية الكسلان والقرد



بقلم : أ. عبد الحميد عبد المقصود
 رسوم : أ. إسماعيل دياب
 إشراف : أ. حمدي مصطفى

طبعة رابعة

المؤسسة العربية الحديثة

للطباعة والنشر والتوزيع

ت. ١٠٠٠٠ - القاهرة - مصر

طبعة ١٩٩٩

يُحْكِي أَنَّ الْخَلِيفَةَ (هَارُونَ الرَّشِيدَ) كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ذَاتَ
يَوْمٍ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ أَحَدُ خُدَمِ زَوْجَتِهِ السَّيِّدَةِ (زَبِيدَةَ) وَبِيَدِهِ
تَاجٌ مِنَ الذَّهَبِ الْأَحْمَرِ ، الْمُرْصَعُ بِالْجَوَاهِرِ ، وَقَالَ لَهُ :
- يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ السَّيِّدَةَ (زَبِيدَةَ) تَقُولُ لَكَ إِنَّهَا قَدْ
صَنَعَتْ هَذَا التَّاجَ مِنَ الذَّهَبِ ، وَزَيَّنَتْهُ بِالْجَوَاهِرِ النَّادِرَةِ ،
وَهِيَ تَحْتَاجُ إِلَى جَوْهَرَةٍ كَبِيرَةٍ ، لِتَضَعَهَا فِي أَعْلَاهُ ، وَقَدْ
بَحَثْتُ فِي جَوَاهِرِهَا ، فَلَمْ تَجِدْ هَذِهِ الْجَوْهَرَةَ الَّتِي تُنَاسِبُهُ ..

فَتَأَمَّلَ الْخَلِيفَةُ التَّاجَ مُبْدِيًا إِعْجَابَهُ بِجَمَالِهِ ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَى
مَنْ حَوْلَهُ مِنَ الْحَاشِيَةِ وَالْأَتْبَاعِ قَائِلًا :

- ابْحَثُوا فِي (بَغْدَادَ) عَنِ الْجَوْهَرَةِ الْكَبِيرَةِ ، الَّتِي تُنَاسِبُ
تَاجَ زَوْجَتِي (زَبِيدَةَ) ..

وَانْطَلَقَ الْأَعْوَانُ يَبْحَثُونَ عَنِ الْجَوْهَرَةِ الْمَطْلُوبَةِ ، فَلَمْ يَجِدُوا
لَهَا أَثَرًا لَدَى تِجَارِ الْجَوَاهِرِ ..

فَلَمَّا أَبْلَغُوا الْخَلِيفَةَ بِذَلِكَ بَانَ الْغَضَبُ فِي وَجْهِهِ وَقَالَ :

- كَيْفَ أَكُونُ خَلِيفَةً ؛ وَمَلِكًا لِمُلُوكِ الْأَرْضِ ، وَأَعْجَزُ عَنْ



إيجاد جوهرة لزوجتي ؟! اسألوا التجار أين
يمكن أن أجد هذه الجوهرة ؟!
فلما سألوا التجار قالوا لهم :

- لن يجد الخليفة هذه الجوهرة إلا عند رجل من (البصرة)
يسمى (أبا محمد الكسلان) ..

فلما أخبروا الخليفة بذلك أرسل سيافه (مسرور) برسالة
إلى والي (البصرة) يأمره فيها بإرسال التاجر (أبي محمد
الكسلان) إلى (بغداد) على وجه السرعة ..

ولما وصل (مسرور) برسالة الخليفة (هارون الرشيد) إلى
والي (البصرة) قال :

— سَمْعًا وَطَاعَةً ..

وَأَرْسَلَ إِلَى (أَبِي مُحَمَّدٍ الْكَسْلَانِ) فِي قَصْرِهِ مِنْ يَخْبَرِهِ
بَأَنَّ الْخُلِيفَةَ (هَارُونَ الرَّشِيدَ) يُرِيدُ مِنْهُ أَنْ يَسَافِرَ إِلَى
(بَغْدَادَ) وَمَعَهُ جَوْهَرَةٌ كَبِيرَةٌ تَصْلَحُ لِنَاحِ زَوْجَتِهِ ..

فَقَالَ (الْكَسْلَانُ) :

سَمْعًا وَطَاعَةً لِمَوْلَايَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ..

وَحَمَلَ (أَبُو مُحَمَّدٍ الْكَسْلَانُ) مَعَهُ الْكَثِيرَ مِنَ الْجَوَاهِرِ
وَالْتَّحَفَ الْغَرِيبَةَ وَالنَّادِرَةَ ، وَسَافَرَ مَعَ رَسُولِ الْخُلِيفَةِ إِلَى
(بَغْدَادَ) وَدَخَلَ عَلَى الْخُلِيفَةِ (هَارُونَ الرَّشِيدَ) فِي قَصْرِهِ ،
فَأَحْسَنَ الْخُلِيفَةُ اسْتِقْبَالَهُ ، ثُمَّ أَمَرَهُ بِالْجُلُوسِ .

فَقَالَ (أَبُو مُحَمَّدٍ الْكَسْلَانُ) :

— اسْمَحْ لِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَنْ أَقْدِمَ لَكَ بَعْضَ الْهَدَايَا
الَّتِي جِئْتُ بِهَا مَعِيَ ، قَبْلَ أَنْ أُعْرِضَ عَلَيْكَ جَوَاهِرِي لِتَخْتَارَ
مِنْهَا مَا تَشَاءُ ..

فَقَالَ الْخُلِيفَةُ :



— لا بأس يا (كسلان) ..

فأخرج (الكسلان) من بضاعته
صندوقاً مذهباً ، وفتحهُ ، فأخرج منه أشجار تفاح من الذهب ،
أوراقها من الزبرجد والزمرد الأخضر ، وثمارها من الياقوت
الأحمر والأصفر ..

فتعجب الخليفة والحاضرون من ذلك ..

ثم أخرج (الكسلان) صندوقاً آخر ، وأخرج منه خيمة من
الحرير مكللة باللؤلؤ والياقوت والزمرد وكل أنواع الجواهر ،
وقوائم هذه الخيمة من خشب الأبنوس ، وقد رسمت على

الْخَيْمَةِ كُلُّ صُورِ الطَّيُورِ وَالْحَيَوَانَاتِ بِالْجَوَاهِرِ وَالْأَحْجَارِ
الْكَرِيمَةِ ..

فَأَعْجَبَ الْخَلِيفَةُ وَالْحَاضِرُونَ بِالْخَيْمَةِ إِعْجَابًا شَدِيدًا ،
وَقَالَ (الْكِسْلَانُ) :

- لَوْ أَدْنَى لِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَرَجَّتُهُ عَلَى عَجَائِبِ وَغَرَائِبِ
هَذِهِ الْخَيْمَةِ ..

فَقَالَ الْخَلِيفَةُ :

- قَدْ أَذْنْتُ لَكَ .. أَرِنِي عَجَائِبَكَ ..

فَقَالَ (الْكِسْلَانُ) :

- سَمْعًا وَطَاعَةً ..

وَبَدَأَ (الْكِسْلَانُ) يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ ، وَيَنْظُرُ إِلَى سِتَائِرِ الْقَصْرِ
فَأَخَذَتِ السِّتَائِرُ تَتَحَرَّكُ مَقْتَرِبَةً مِنْهُ ، ثُمَّ أَشَارَ إِلَيْهَا
فَابْتَعَدَتْ عَنْهُ ..

ثُمَّ نَظَرَ إِلَى صُورِ الْحَيَوَانَاتِ وَالطَّيُورِ ، وَأَخَذَ يُحَرِّكُ
شَفَتَيْهِ فَأَخَذَتِ هَذِهِ الطَّيُورُ تَغْرُدُ ، وَصَاحَتِ الْحَيَوَانَاتُ
مُتَجَاوِبَةً مَعَهُ ..



فازدادت دهشة الحاضرين وقال
الخليفة :

— من أين لك كل هذا يا رجل ،
وأنت ما تعرف إلا باسم (أبي محمد
الکسلان) وقد أخبروني أن أباك مات فقيراً ولم يترك لك
شيئاً ؟!

فقال (الکسلان) :

— لو أذن أمير المؤمنين حديثه بقصتي ، وهي أعجب من
العجب ..

فقال الخليفة :

— قد أذنت لك .. وانطلق (الکسلان) يروي حكايته قائلاً :

- كان أبى حلاقاً فقيراً ؛ وقد مات ولم يترك لى شيئاً ،
وكنْتُ أنا فى صِغرى أكسلُ إنسان على وجه الأرض ، وقد
بلغ من كسالى أننى إذا كنت نائماً فى الحرِّ ، وطلعت
الشمسُ وأخذت تلفحنى بحرّها الشَّدِيد ، فإننى اكسلُ عن
القيام من الشمس والانتقال إلى الظلِّ ، وقد استمرَّ بى
الحالُ كذلك ، حتَّى بلغتُ الخامسةَ عشرَ عاماً من عمْرِى
المديد ، وكانت أمى تخدمُ الناسَ حتَّى تُطعمنى وتسقيني
وأنا راقداً فى كسلٍ ..

وذات يومٍ دخلتُ على أمى ومعهما خمسةَ دراهمٍ من
الفضة وقالت :

- يا ولدى لقد علمتُ أنَّ الشيخَ المظفرَ عزمَ على السَّفَرِ
بتجارته إلى الصينِ (وكان رجلاً طيباً يعطِفُ على الفقراء) .
خذْ هذه الدراهم يا ولدى واطلبْ منه أن يشتريَ لك شيئاً
من الصينِ ، لعلَّكَ تُتاجرُ فيه وتربحَ ..

وكسلتُ عن القيامِ معها ، فغضبتُ أمى غضباً شديداً
وقالت :



— إِنَّ لَمْ تَأْخُذْ هَذِهِ الدَّرَاهِمَ ، وَتَذْهَبَ
إِلَى الشَّيْخِ (المَظْفَرِ) فَلَنْ أَطْعِمَكَ وَلَنْ أَسْقِيكَ ،
بَلْ سَأَتْرُكُكَ تَمُوتُ جَوْعًا وَعَطْشًا ..

وَتَوْقِفُ (الكَسْلَانُ) قَلِيلًا ، ثُمَّ وَاصِلَ حِكَايَتِهِ قَائِلًا :

— فَلَمَّا سَمِعْتُ كَلَامَ أُمِّي خِفْتُ مِنْ تَهْدِيدِهَا ، وَقُلْتُ لَهَا :

سَاعِدِينِي عَلَى النُّهُوضِ يَا أُمِّي ، فَأَخَذَتْ بِيَدِي وَأَقْعَدَتْنِي ،

فَقُلْتُ لَهَا : الْآنَ خُذِي بِيَدِي حَتَّى أَقِفَ .. فَلَمَّا أَوْقَفَتْنِي قُلْتُ

لَهَا : أَسْنِدِينِي حَتَّى أَذْهَبَ لِلشَّيْخِ (المَظْفَرِ) فَأَخَذَتْ بِيَدِي

وَأَسْنَدَتْنِي ..

وَسِرْتُ أَتَعَثَّرُ فِي كَسَلِي ، حَتَّى وَصَلْنَا إِلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ ،
وَكَانَتْ الْمَرْكَبُ الَّتِي سَيَسَافِرُ فِيهَا الشَّيْخُ الْمَظْفَرُ مَعَ التُّجَّارِ
تَتَأَهَّبُ لِلرَّحِيلِ ، فَقُلْتُ لِلشَّيْخِ (الْمَظْفَرِ) :

— خُذْ هَذِهِ الدَّرَاهِمَ ، وَاشْتَرِ لِي شَيْئًا مِنْ بِلَادِ الصِّينِ ،
عَسَى أَنْ أَتَاجَرَ فِيهِ وَأَرْبَحَ .. فَتَعَجَّبَ التُّجَّارُ ، وَقَالَ الشَّيْخُ
(الْمَظْفَرُ) بِطِيبَةِ :

هَاتِ يَا وَلَدِي الدَّرَاهِمَ عَلَى بَرَكََةِ اللَّهِ ..

وَرَجَعْتُ مَعَ أُمِّي إِلَى دَارِنَا الْفَقِيرَةِ ، وَسَافَرَ الشَّيْخُ مَعَ
التُّجَّارِ إِلَى (الصِّينِ) ، فَبَاعَ وَاشْتَرَى ، ثُمَّ قَرَّرَ الرُّجُوعَ مَعَ
التُّجَّارِ إِلَى (الْبَصْرَةِ) وَقَدْ نَسِيَ أَنْ يَشْتَرِيَ لِي شَيْئًا أَتَاجَرُ
فِيهِ ، فَسَارَتْ بِهِمُ الْمَرْكَبُ فِي الْبَحْرِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، ثُمَّ تَذَكَّرَ
الشَّيْخُ دَرَاهِمِي ، فَقَالَ لِمَنْ مَعَهُ مِنَ التُّجَّارِ :

— لَا بُدَّ لَنَا مِنَ الرُّجُوعِ إِلَى الصِّينِ ، حَتَّى أَشْتَرِيَ شَيْئًا
« لِلْكَسَلَانِ » بِدَرَاهِمِهِ ..

فَتَعَجَّبَ التُّجَّارُ وَقَالُوا :



— نُسَافِرُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَهَابًا وَثَلَاثَةَ فِي الْعُودَةِ مِنْ أَجْلِ أَنْ
نَشْتَرِيَ بِخَمْسَةِ دَرَاهِمٍ ؟! خُذْ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا ضِعْفَ رِبْحِ
الْخَمْسَةِ دَرَاهِمِ ، وَدَعْنَا نَعُودُ إِلَى بِلَادِنَا ..

فَوَافَقَ الشَّيْخُ عَلَى اقْتِرَاحِهِمْ ، وَجَمَعُوا إِلَى أَمْوَالٍ كَثِيرَةٍ ..
وَسَارَتْ بِهِمُ الْمَرْكَبُ ، حَتَّى وَصَلُوا إِلَى جَزِيرَةِ فَنْزَلِ الشَّيْخِ
وَالْتُّجَارُ يَبِيعُونَ وَيَشْتَرُونَ جَوَاهِرَ وَأَحْجَارًا كَرِيمَةً ..

وَرَأَى الشَّيْخُ (الْمُظْفَرُ) رَجُلًا مَعَ قُرُودٍ كَثِيرَةٍ ، وَبَيْنَهُمْ

قردٌ بئسَ منحولُ الشعرِ ، وكلّما غفلَ الرجلُ عن القُرودِ
أُمسكت القُرودُ ذلكَ القردَ البئسَ وضربتُه ، فيصرخُ متألِّماً ،
فأشفقَ الشيخُ (المُظفرُ) على القردِ ، وقال لصاحبه :

— هل تبغني هذا القردَ بخمسةِ دراهمٍ من أجلِ صبيٍّ فقيرٍ ؟

فقال صاحبُ القردِ :

— خذهُ وباركُ اللهُ له فيه ..

ورحلتِ المركبُ بالشيخِ (المُظفرِ) والتجارِ معهم القردَ ،
حتى وصلوا إلى جزيرةٍ أخرى تُسمى جزيرةَ اللؤلؤِ ، فرست
المركبُ عليها ، ونزلَ التجارُ يبيعونَ ويشترُونَ ،
ويستأجرونَ الغطاسينَ للغوصِ واستخراجِ اللؤلؤِ والمرجانِ
والجواهرِ الثمينةِ من قاعِ البحرِ ..

ولما رأى القردُ ما يفعلُه الغطاسونَ ألقيَ بنفسه في الماءِ
ثمَّ خرجَ مع الغطاسينَ ومعه جواهرٌ نفيسةٌ ، فألقاها أمامَ
الشيخِ (المُظفرِ) فتعجبَ الجميعُ ، وقال الشيخُ :

— هذا القردُ وراءَهُ سرٌّ عظيمٌ ..

وأحضرَ القردُ كميةً كبيرةً جداً من الجواهرِ ، فقال الشيخُ
(المُظفرُ) :



— هَذَا رِزْقُ سَاقِهِ اللّٰهُ (تَعَالَى) إِلَى

ذَلِكَ الصَّبِيِّ الْفَقِيرِ ، بِبَرَكََةِ دَرَاهِمِهِ الْخَمْسَةِ ، وَلَا بُدَّ أَنْ
أَحَافِظَ لَهُ عَلَيْهَا حَتَّى نَصِلَ ..

وَعَبَّأَ الشَّيْخُ هَذِهِ الْجَوَاهِرَ فِي عِدَّةٍ صِنَادِيقَ .. ثُمَّ وَاصَلَتْ
الْمَرْكَبُ سَيْرَهَا ، حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى جَزِيرَةٍ وَرَسَتْ عَلَيْهَا
فَنَزَلَ الشَّيْخُ (الْمُظْفَرُ) وَالتُّجَّارُ يَبِيعُونَ وَيَشْتَرُونَ ، وَهُمْ لَا
يَعْلَمُونَ أَنَّ سُكَّانَ هَذِهِ الْجَزِيرَةِ مِنْ أَكْلَى لُحُومِ الْبَشَرِ ، فَلَمَّا
رَأَوْا التُّجَّارَ قَبَضُوا عَلَيْهِمْ وَقَيَّدُوهُمْ بِالْحَبَالِ وَتَرَكَوهُمْ حَتَّى
يَأْكُلُوهُمْ فِي الصَّبَاحِ ..

وفى أثناء الليل تسلل القرد إلى الشيخ (المظفر) وفك قيوده ، فأسرع الشيخ إلى بقية التجار وخلصهم من قيودهم ، وأسرع التجار إلى سفينتهم وغادروا الجزيرة ، غير مصدقين بنجاتهم ، وقال الشيخ (المظفر) :

- لقد خلصنا هذا القرد من الموت بإرادة الله (تعالى) وقدرته ؛ ولهذا فقد أخرجت له من مالى ألف دينار ذهباً ..
وقال بقية التجار :

- ونحن أيضاً كل واحد منا يخرج له ألف دينار من ماله ..
وجمع الشيخ (المظفر) المال من التجار ، ووضع فى صندوق .. ثم وأصلت السفينة رحلتها ، حتى عادت إلى ميناء (البصرة) سالمة ..

وواصل (الكسلان) حكايته قائلاً :

- وفى ذلك الوقت كنت لا أزال نائماً فى الشمس - كعادتي -
فأقبلت على أمي وقالت :

- لقد وصل الشيخ (المظفر) بتجارته ، فقم يا بنى



وَاسْأَلْهُ عَمَّا اشْتَرَاهُ لَكَ بِالْدَّرَاهِمِ الْخَمْسَةِ ..
وَسَاعَدَتْنِي أُمِّي عَلَى الْقِيَامِ ، وَأَسْنَدَتْنِي حَتَّى وَصَلْتُ إِلَى
الشَّيْخِ (الْمُظْفَرِ) فَلَمَّا رَأَى بَشْرِي وَجْهِي وَقَالَ :
أَهْلًا بِمَنْ دَرَاهِمُهُ كَانَتْ سَبَبًا لِنَجَاتِنَا كُلَّنَا مِنَ الْمَوْتِ ،
بِإِذْنِ اللَّهِ (تَعَالَى) ..
فَظَنَنْتُ أَنَّهُ يَسْخَرُ مِنِّي وَمِنْ دَرَاهِمِي ، وَقَدَّمَ لِي الشَّيْخُ
الْقِرْدَ قَائِلًا :
- خُذْ هَذَا الْقِرْدَ ، فَإِنِّي اشْتَرَيْتُهُ لَكَ بِخَمْسَةِ دَرَاهِمٍ ،
وَانْتَظِرْنِي فِي بَيْتِكَ حَتَّى آتِيَ إِلَيْكَ .. فَأَخَذْتُ الْقِرْدَ

وَتَوَجَّهْتُ إِلَى بَيْتِي ، وَأَنَا أَقُولُ مُتَهَكِّمًا :

- قِرْدٌ ؟ ! وَاللَّهِ إِنَّهَا تِجَارَةٌ عَظِيمَةٌ ! انْظُرِي إِلَى تِجَارَتِي

يَا أُمِّي !

وَبَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ فِي بَيْتِي جَاءَنِي الشَّيْخُ (الْمُظْفَرُ)

وَمَعَهُ اثْنَانِ مِنَ الْخَدَمِ يَحْمِلَانِ عِدَّةَ صَنَادِيقَ ، فَوَضَعَهَا

الشَّيْخُ أَمَامِي وَقَالَ :

- خُذْ هَذِهِ الْأَمْوَالَ وَالْجَوَاهِرَ يَا بُنَيَّ ، فَكُلْهَا مَلِكًا ..

فَلَمَّا سَأَلْتَهُ عَنْ مَصْدَرِهَا ، حَكَى لِي مَا حَدَّثَ ، وَقَالَ :

هَذَا رِزْقُ سَاقِهِ اللَّهُ (تَعَالَى) إِلَيْكَ عَلَى يَدَيِ هَذَا الْقِرْدِ ،

فَحَافِظٌ عَلَيْهِ وَلَا تُفْرِطُ فِيهِ أَبَدًا لِأَنَّ فِيهِ سِرًّا عَظِيمًا ..

وَمِنْ شِدَّةِ فَرَحِي احْتَضَنْتُ الْقِرْدَ ، وَلَمْ أَعُدْ أَفَارِقْهُ وَلَا

يُفَارِقُنِي أَبَدًا ، بَعْدَ أَنْ كَانَ سَبَبًا لِشِرَائِي ..

(تَمَّتْ)